جامعة المنصورة

كليـة الآداب

صورة الجنة في الشعر الأندلسي

إعـــداد

دكتورة/ دعاء محمد راجح

دكتوراه في الأدب العربي القديم

جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الثالث و الستون – أغسطس ٢٠١٨

صورة الجنة في الشعر الأندلسي

د/ دعاء محمد راجح

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه، والصلاة والسلام على هادي الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .... فقد كان للجنة أثر عظيم في نفوس المسلمين ، وهذا الأثر سببه القرآن الكريم ، إذ صور لنا الجنة بأسماء وأوصاف كثيرة تأثر بها المسلمون وكذلك الشعراء إذ أنهم استلهموا وصفها في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأطلقوا العنان لخيالهم الخصب يتوسعون في ذلك النطاق، ويطورون هذه الصورة ويزيدون عليها، فجاءت مبينة حبهم وشوقهم لرؤيتها والتمتع بملذاتها .

فالبيئة الأندلسية ،قد حباها الله بجمال لم تتصف به أية بيئة أخرى في ذلك الوقت ، فكانت الأندلس جنة الله على الأرض بما اتصفت به من جمال طبيعي من صنع الخالق ، أغرى الشعراء بالتغزل به والهيام بجماله .فتمثلت الطبيعة في صورة المديح ، والغزل ،والرثاء .... فوصفوا أغراض كثيرة بكل ما حوته الطبيعة من جمال وما وقعت عليه أعين الشعراء من مواد.

وقدمت بحثي موزعاً على:

١- تمهيد : تحدثت فيه عن أسماء الجنة كما وردت في القرآن الكريم ومايحمله كل اسم من دلالة .

٢- أسماء الجنة في الشعر الأندلسي.

٣- صورة النعيم الحسي للجنـــة.

صورة النعيم المعنوي والروحي للجنـــة.

التمهيد

إن كلمة الجنة من الكلمات التي وردت كثيراً في القرآن الكريم ، إذ جاءت أكثر من مرة وتكررت بألفاظ مختلفة ، فتأتي في بعض السور بصيغة الإفراد (الجنة) ، وتأتي أحياناً بصيغة الجمع (الجنات) ، وأحياناً بصيغة المخاطب (جنتك) ، وصيغة الغائب (جنته) ، لكن جميع هذه الألفاظ المختلفة إنما تؤدي معنى واحداً ، وهو أن الجنة عندما ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، إنما جاءت لتبشر المؤمنين وتوعدهم بأن هناك داراً تنتظرهم في الأخرة وهي دار القرار التي لا نهاية لها .

وقد ذكر القرآن الكريم أوصاف الجنة تشويقاً للمؤمنين ، ووعدهم بأن كل إنسان يعمل صالحاً فإن الله سبحانه وتعالى يعده بالفوز العظيم ، وإن الله لا يخلف الميعاد مع عباده المؤمنين .

وقد وردت الجنة في القرآن الكريم بصيغ متعددة ، فجاءت (الجنة) بوصفها لفظة مفردة في (٦٦)

ست وستين مرة [١]،و (جنات) في (٧١) واحد وسبعين مرة [٢] ، و (جنتان) في (٣) مرات[٣]، و (جنتـك) فـي (٢) مـرتين[٤]، و (جنتـي) مـرة واحدة[٥]، و (بجنتيهم) مرة واحدة[٦].

وأن الجنة في القرآن الكريم وردت بصور مشوقة ، وأسماء مشرقة ، وقد منحها الخالق جل وعلا كل هذه السمات لما تستحقه من وصف بديع وصور تدفع بالمتلقي إلى نوالها والفوز بنعيمها .

ولنا بعد ذلك أن نقف عند أهم أسماء الجنة كما احتوتها النصوص القرآنية ، وما يمكـن للشـاعر الأندلسـي أن يوظـف مـن تلـك الأسماء في نصوصه متأثراً بالقرآن الكريم بوصفه المنبع الرئيس لهذه المفردة ، والمصدر الأول الذي وقف عندها ، **ومن تلك الأسماء:**

(١) البقـــرة :٢٦٦،٢٦٥،٢٢١،٢١٤،١١١،٨٢،٣٥ ،ال عمران : ١٨٥،١٤٢،١٢٣ ، النساء :١٢٤ ، المائدة :٧٢ ، الاعـــراف :٤٤،٤٣،٤٢،٤٠،٢٧،٢٢،١٩ ،٥٠،٤٩،٤٦، التوبـــة :١١١، يـــونس :٢٦، هـود:١٠٨،٢٣ الرعـد :٣٥، النحـل :٣٢، الاسـراء: ٩١،الكهـف :٤٠،٣٩،٣٥ ،مـريم :٦٣،٦٠، طـه: ١٢١،١١٧، الفرقـــان :١٥،٨، ٢٤، الشـــعراء: ٩٠،٨٥، العنكبـوت: ٥٨، يـس: ٥٥،٢٦، الزمـر: ٧٤،٧٣، غـافر :٤٠، فصـلت :٣، الشـورى :٧ ، الزخـرف:٧٢،٧٠، الاحقـاف: ١٦،١٤، محمد :١٥،٦، ق :٣، الـنجم : ١٥ ،الواقعـة :٨٩ ،الحديـد:٢١، الحشـر :٢٠، (مرتـان) ،التحـريم: ١١، القلـم :١٧، الحاقة :٢٢ ، المعارج :٣٨، الانسان :١٢ ،النازعات :٤١، التكوير:١٣، الغاشية :١٠، الفجر :٣٠ .

(٢) البقـــــــرة:٢٥، العمـــــــران:١٣٦،١٥ ،١٩٥،١٩٨،النســـاء:١٢٢،٥٧،١٣،المائـــدة: ١١٩،٨٥،٦٥،١٢ ،الانعـام:١٤١،٩٩ ،التوبـة:٢١، ٧٢(مرتـان)، ٨٩، ١٠٠، يـونس:٩، الرعـد:٤، ٢٣، ابـــراهيم:٢٣، الحجـــر:٤٥، النحـــل:٣١، الكهـــف:١٠٧،٣١، مـــريم:٦١، طـــه:٧٦، الحـج:٥٦،٢٣،١٤، المؤمنـون:١٩، الفرقـان:١٠، الشـعراء:١٤٧،١٣٤،٥٧، لقمـان:٨، السـجدة:١٩، فـاطر:٣٣، يـس:٣٤، الصـافات:٤٣، ص٥٠، غـافر:٨، الشـورى:٢٢، الـدخان:٥٢،٢٥، محمد:١٢، الفـتح:١٧،٥، ق:٩، الـذاريات:١٥، الطـور:١٧، القمـر:٥٤،الواقعـة: ١٢، الحديـد:١٢، المجادلـة:٢٢، الصـف:١٢(مرتـان)، التغـابن:٩، الطـلاق:١١، التحـريم:٨، القلـم:٣٤، المعـارج: ٣٥، نـوح:١٢، المدثر:٤٠، النبأ:١٦، البروج:١١، البينة:٨ .

(٣) الكهف :٣٣،٣٢، سبأ :١٦، الرحمن:٥٤ .

(٤) سبأ:١٥، الرحمن:٦٢،٤٦ .

(٥) الكهف:٤٠،٤٩ .

(٦) سبأ:١٦ .

أسماء الجنة	الشاهد القرآني	دلالة الاسم
الفردوس	:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحاَتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا}(٤)	الفردوس اسم من أسماء الجنة ، وهو الاسم الذي يحتل مساحة متميزة في القرآن الكريم ، واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس ، فقال بعضهم ، عني به أفضل الجنة وأوسطها(٥)
جنـــات عدن	{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(٦)	يقال عدن فلأن بأرض كذا ، إذا أقام بها وخلد ، ومنه المعدن ويقال هو معدن صدق ، يعني به أنه في أصل ثابت ، وجنات عدن هي بساتين خلد وإقامة لا يظعن منها أحد، وهي دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه(٧) فإن الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين والمؤمنات بالإقامة الدائمة في هذه الجنات التي لهم فيها ما يشاؤون وهذا الفوز الذي يتمناه كل مؤمن .
جـنـــــــة المـــــأوى	:{فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأوى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأوى}(٨).	وجنة المأوى : هي الجنة التي يستقر فيها العبد المؤمن جزاء على ما فعله من خير وصلاح في الدنيا. فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد مكانين في الأخرة ، مكان يستقر فيه ، فمن عمل بما أمر الله به ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فإن مكانه ومأواه الجنة ، ومن ضل وبقي على كفره وطغيانه فإن مكانه ومأواه إلى الجحيم.

(١) سورة الكهف : آية : ١٠٧

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن التركي ، جـ ١٥ ، ٤٣٠-٤٣١

(٣) سورة التوبة : آية : ٧٢ .

(٤) جامع البيان ، جـ ١١ ، ص ٥٩٩ .

(١) سورة النازعات : آية : ٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١ .

جنـــــــات النـــعيـــم	:{أولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ *فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[٩]،	يقال نعم به – نعمة – ونعيماً : سر واستمتع[١٠]، و (النَّعمة) هي الرفاهية وطيب العيش ، يقال هو في نعمة عيش ، في حسنه ونضارته ، (النِّعمة) ما أنعم به من رزق ومال وغيره ، والنعيم ما استمتع به من نضارة العيش وحسن الحال[١١]. قد وصفت بالنعيم لكثرة ما فيها من نعم أعدها الله لعباده الصالحين جزاء على ما عملوه في حياتهم الدنيا بما يرضي الله سبحانه وتعالى .
جنـــــــة الخلـــد	قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لّا يَبْلَى}[١٢]،	الخلد هو البقاء ، وقد جاءت الجنة مقترنة بصفة الخلد لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد عباده الصالحين أنهم ماكثون في هذه الجنة إلى الأبد ولا يرحلون منها
دار الســـلام	:{وَاللَّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[١٣]	السلام هي الجنة، ودار السلام هي الدار التي أعدها لأوليائه الصالحين في الأخرة جزاء لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله وهي جنته ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى
دار الـمـقـامـــة	{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أذهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ *الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}[١٤]،	دار المقامة هي الجنة ، والمقامة هي الإقامة يعني أن المؤمن يقيم في هذه الجنة ولا يخرج منها **وأن** الله سبحانه وتعالى عندما أعد هذه الجنة لعباده فأنهم يقيمون فيها دون عمل أو تعب أو ملل ، فكل ما فيها تتمناه الأنفس وتلذ الأعين برؤيته

(٢) سورة الواقعة : آية : ١١ – ١٢ .

(٣) : المعجم الوجيز ، ص : ٦٢٤ د. ابراهيم مدكور ، طبعة ٢٠٠٠ – معتمدة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

(٤) المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص : ٩٤٤ ، ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت) ..

(١) سورة طه : آية : ١٢٠ .

(٢) سورة يونس : آية : ٢٥ .

(٣) سورة فاطر : آية : ٣٤- ٣٥ .

من خلال ما سبق فإن الجنة قد جاءت بأسماء مختلفة وكثيرة ، فبعض هذه الأسماء قد اشتملت في تضاعيف أسمائها وصف الجنة وصفًا دقيقًا يبين لنا ما فيها من متع وملذات تشوق العبد المؤمن إليها ، وبعض هذه الأسماء قد جاء بصورة عامة دون أن يعرض لنا صفات الجنة إذ جعلها صورة خفية لا يعلمها إلا صانعها وخالقها الله سبحانه عالم كل شيء .

أما صفات الجنة وأهلها في القرآن الكريم ، فهناك نوعان من الإدراك عند الإنسان هما **الإدراك الحسي والإدراك الذهني** ، فالإدراك الحسي يكون عن طريق الحواس ، فالإنسان يعرف أي شيء حوله عن طريق حواسه ، أما الإدراك الذهني فتكون في إطار العقل الإنساني وما ترسمه هذه الصورة من انطباعات لدى الإنسان لكنها تبقى داخل العقل .

فالجنة عندما وردت في النص القرآني جاءت بصور ومعانٍي مشرفة تبقى في أذهان الناس وتبقى مخيلتهم تحتوي هذه الصور الجميلة والأوصاف ذات المعانٍي المحببة والدقيقة للجنة ليست موجودة في هذا الواقع الذي نعيشه ، فالجنة بعيدة كل البعد عن الواقع مما بقيت في أذهان الناس كلٌ يتصورها حسبما يشاء وينطلق بخياله في الأفق الواسع .

وقد بين لنا القرآن أوصاف الجنة وما فيها من أنهار وبساتين وقصور ،فيها تنتهي مرحلة العمل والكد والتعب والهموم والأحزان والأسقام وتبدأ مرحلة جديدة فيها الهناء والراحة وصفاء البال وحسن العيش والصحة الدائمة ، قال تعالى :{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أذهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}(١٥) فالعبد المؤمن عندما يرى النعيم الذي هو فيه يشكر الله تعالى على نعيمه وأنه قد رحل عن تلك الدنيا الفانية التي لم ير فيها الراحة.

الأثر الديني في الشعر العربي: يكاد يقر المتتبع بوضوح حقيقة الأثر الديني في عموم الشعر العربي ولاسيما في العصور المرافقة لبزوغ نور النبوة المحمدية ، ومن هنا فقد أخذ كل عصر من عصور الأدب العربي نصيبه من هذا الأثر ، ولعل أكثر الشعراء تأثراً بالإسلام وقيمه ذلك الذي عاش في كنف عصر الدعوة والعقيدة ونعني به عصر الخلفاء الراشدين وأوائل العصر الأموي(١٦)، لما للإسلام من أثر واضح في نفوس أصحابه وعقولهم ، إذ كان الشعراء شغوفين بقيم الرسالة التي وجدت _هي الأخرى _ طريقها إلى نتاجهم الشعري.

كما تأثر الشاعر الأندلسي بالقرآن الكريم والسنة النبوية على حد كبير أسلوبا وتعبيرًا ، لفظًا ومعنى ، وهذا التأثر له دوره الكبير في إحداث الروعة والجمال في الشعر ، بما يضفي نصيبا وافراً من الشعور بأثر الكلمات الإسلامية في وجدان كل مسلم .

---

(١) سورة فاطر :آية: ٣٤ .

(٢) حركات التجديد في الادب العربي ، يوسف خليف ، جـ ٤ ، ص ٣٩ الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية .

أسمـــاء الجنة في الشـــعـــر الأندلسي

وردت أسماء الجنة في الشعر الأندلسي لتبين الصفات والتفاصيل التي رسمها شعراء هذا العصر للجنة متأثرين بذلك بالصفات العامة والمفصلة لها التي رسمها القرآن الكريم والتي أعدها سبحانه لعباده المتقين ، فضلاً عما ورد في أحاديث النبي الكريم الشريفة من تفصيل لصفاتها ومتعها فأنه يعطي صورة واضحة متكاملة الأطراف عن الجنة ، وقد هيأ الجرد الإحصائي أن لفظة الجنة وردت في الشعر الأندلسي مجردة أو مضافة أو بأسمائها الأخرى (كالفردوس – جنة عدن – جنة الخلد – جنة المأوى – دار السلام).

اسم الجنة	اسم الشاعر	الشاهد الشعري
الجنـــــة ، ومن ورود لفظة الجنة مفردة	قول ابن الإبّار	**و جنةٍ حلّ أهلُ النارِ ساحتها لم يُغنِ حَملُ القَنا* عنها ولا الجُننُ*(١٧)**
الجنـــــة لفظة مجردة	قول أبو الحسن بن الحريق(١٨):	**فَقُل هي جَنَـةٌ حُفتْ رُباهـا بمكروهين من جُـــــوعٍ و حَرْبٍ(١٩)**
وقد وردت لفظة الجنة **بصيغة الجمع (الجنان)** في أبيات أخرى لبعض الشعراء مبالغة في إكرام نازليها بأن لهم أكثر من جنة واحدة ، وإنما هي جنان كثيرة تحتوي على أصناف النعم المختلفة	قول أبي بكر بن حبيش(٢٠):	**صَوْمي مقبـــــولٌ وبرهانه أني أُدخلتُ جنان الوصـــــــال(٢١)**

(١) ديوان ابن الآبارالبلنسي ، ت(٦٥٨)هـ ، تحقيق: د. عبد السلام الهراس ، ص١٤٩ ، كتاب في الأدب الأندلسي _موضوعاته وفنونه_ تأليف د. مصطفى الشكعة ، ط ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) هو العلامة اللغوي ابو الحسن علي بن محمد بن احمد بن الحريق المخزومي البلنسي ، هو شاعر بلنسية مستبحر في الأداب و اللغات حافظ لأشعار العرب و أيامها توفي في شعبان سنة ٦٢٢هـ عن إحدى وسبعين سنة ، ينظر : سير اعلام النبلاء ،تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت(٧٤٨هـ-١٣٧٤م) تحقيق : الاستاذ شعيب الارناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبقة الثالثة و الثلاثون جـ٢٢ ، ص٢٩٦ .

(٣) كتاب الأدب الأندلسي _ موضوعاته وفنونه _ ص ٢٦ ، تأليف الدكتور: مصطفى الشكعة ، الطبعة الثانية ، (د.ت).

(٤) أبو بكر بن حُبيش ، هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف ، أصله أندلسي من مرسية وبها نشأ ، كان شاعراً مجيداً وغلب على شعره في المدة الأخيرة من حياته غرض الزهديات ، ينظر : مختارات من الشعر المغربي الأندلسي ، لم يسبق نشرها ، حققها وقدم لها ، ابراهيم بن مراد ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، دار المغرب الاسلامي ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٦ ،ص ١٣٤ .

(٢١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ ٤ ، ص ١٦للشيخ أحمد بن المقري التلمساني .

اسم الجنة	اسم الشاعر	الشاهد الشعري
الجنة : بصيغة الجمع	ويقول ابن خفاجة	**أتتني به النار في صورة أرى للجنات عليها صور**(٢٢)
الفردوس	أبو جعفر بن سعدة الغرناطي	**هي الفردوس في الدنيا جمالا لِسَاكِنِها وكارِهِها البعوض**(٢٣)
	ابن هانئ وهو يمدح الخليفة المعز لدين الله	**تُردُّ إلى الفردوس منكم أرومةٌ يُصلي عليكم ربُّها والملائك**(٢٤)
مفردة **الفردوس مضافة إلى الجنة**	قول السلطان أبي عبد الله ابن الحجاج	**يا أهل نجدٍ وما نجدٌ وساكنها حُسْناً سوى جنة الفردوس والعين**(٢٥)
الخلد	وقول أبي الصلت أُمية بن عبد العزيز	**ولم أرَ ناراً كُلمّا شبَّ جمرها رأيتُ الندامى مِنهُ في جَنّةِ الخلدِ**(٢٦)
الخلد مضافة إلى الجنة	قول ابن زيدون:	**يا جنة الخلدِ أُبدلنا بسدرتها والكوثر العذب زقوماً وغسلينا**(٢٧)
بلفظة (الجنة) مضافة إلى (الخلد) في مدح القائد جوهر	ابن هانئ	**ثكلتُك شمساً من وراءِ غمامةٍ وجنة الخلدِ دونها حالَ برزَخَ**(٢٨)

(١) ديوان ابن خفاجة الأندلسي ،ص ١٤٤ .

(٢) نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ١٦٨ من غصن الأندلس الرطيب ، للشيخ أحمد بن المقري التلمساني ، تحقيق: د. احسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

(٣) ديوان ابن هانئ الأندلسي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤٠٥ هـ – ١٩٨٠ ،ص٢٤٥ .

(٤) نفح الطيب ، جـ ٦ ،ص ١٨٩ .

(٥) نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٤٨٠ .

(٦) ديوان ابن زيدون ، ص ١٤٢

(٧) ديوان ابن هانئ ،ص ٨٣ .

اسم الجنة	اسم الشاعر	الشاهد الشعري
عدن	قـــول ابـــن الخطيب	**أصبحَ الخدُّ منك جَنّةَ عَدنٍ مُجتلى أعينٍ و شَمَّ أُنوفـــــِ**[٢٩]
لفظـة (الجنـة) مفـردة مضـافة إلـى (عدن)	قول ابن زيدون	**بوّأتني نُعماك جَنّةَ عَدْنٍ جالَ في وصفها فضل القريض**[٣٠]
جنة المأوى لفظـة (الجنـة) مفـردة مضـافة إلـى (المأوى)	مـن ذلـك قـول ابن خلدون	**هي جنةُ المأوى لمن كلفَتْ آمـــالهُ بمطـالـب المجـــدِ**[٣١]
	وقـول الأديـب أبـي القاسم ابـن العطار الإشبيلي	**مضت جنّة المأوى وجاءت جهنم فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم**[٣٢]
دار الـسـلام	قول الشاعر ابن هانئ	**فسر أيّـها الملك المطـاع مُـؤيـداً فللدين والدنيا إليك تَطلُّـــعُ وقد أشعرت أرضَ العراقين خيفـةً تكادُ لها دارُ السلام تَضعْضَعُ**[٣٣]
	ابـــن ســـعيد العنسي	**دار الســلام حوَيت من كُلِّ المحاسن قد حوى مجموعُ حُسنٍ قد ثوى في جَنّـــةٍ وبهـا ثوى**[٣٤]

(١) نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٤٧٢ .
(٢) ديوان ابن زيدون ، ص ١٤٢ .
(٣) نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٨٥ .
(٤) نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص٤٨٧ .
(٥) ديوان ابن هانئ ، ٢٠٧ .
(٦) نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص٤٤ .

من خلال الجدول السابق يتضح لنا أن كل شاعر وظف أسماء الجنة في أغراضهم الشعرية فهذا ابن الإبار نلاحظ في بيته الشعري

و جنةٍ حلّ أهلُ النارِ ساحتها

لم يُغنِ حَملُ القَنا* عنها ولا الجُنُنُ*(٣٥)

أنه يمزج بين البكاء والذكريات العبقة ، فهو يصور حال مدينته التي من جمالها شبهها بالجنة، لكن هذه المدينة الجميلة قد أصابها الخراب والدمار ، ولعل من احتلها وأشعل النيران فيها أقرب إلى أهلها ممن سعوا للوصول إلى كل ماهو جميل واتلافه والقضاء عليه بطريقتهم الخاصة .

ويقول أبو الحسن بن الحريق

فَقُل هي جَنَّةٌ حُفتْ رُباها

بمكروهين من جُـــوعٍ و حَرْبٍ(٣٦)

يرينا الشاعر في هذا البيت كيف أن صورة مدينته أقرب إلى الجنة ، لأن الأندلس كانت جنة الأرض من حسنها وروعتها ، فجنة الأخرة فيها الأمن والأمان و الطمأنينة لكن الأندلس وهي جنة الأرض كانت تحف بها المخاطر من كل الجهات ، فالأعداء كانوا على قمم الجبال والتلال يتضورون جوعاً للهجوم على هذه البلدة وإقلال راحتها ومسح جمالها .

وقد وردت لفظة الجنة بصيغة الجمع (الجنان) في أبيات أخرى لبعض الشعراء مبالغة في إكرام نازليها بأن لهم أكثر من جنة واحدة ، وإنما هي جنان كثيرة تحتوي على أصناف النعم المختلفة ، من ذلك قول أبي بكر بن حبيش

صَوْمي مقبولٌ وبرهأنه

أني أُدخلتُ جنان الوصـــــــال(٣٧)

فإذا أخلص المؤمن وجهه لله تعالى وعمل بتعاليمه ولم يقصر في أي عمل فأنه يصبح مطمئن البال، صافي الذهن ، لا يخاف من العقاب لأن حقه محفوظ وهو دخوله لذلك المكان الجميل فتطير روحه طرباً وروعة ، ويستمتع بكل لحظة ولا يخلد إلى النوم لأنه يريد أن يمتع ناظريه بأطول مدة ممكنة .

ويقول ابن خفاجة :

أتتني به النار في صورة

أرى للجنات عليها صـــــــور(٣٨)

يذكر ابن خفاجة ما حل ببعض المدن الأندلسية من خراب حين بدء الغزو بالتوغل في تلك الأرض الطيبة الجميلة وأصبحت النيران الصفراء تحل محل الأراضي الخضراء ، وأصبحوا يتحسرون على ذلك الجمال الذي ذهب ، حتى

---

(١) ديوان ابن الآبارالبلنسي ، ت(٦٥٨)هـ ، تحقيق: د. عبد السلام الهراس ، ص١٤٩ ، كتاب في الأدب الأندلسي _موضوعاته وفنونه_ تأليف د. مصطفى الشكعة ، ط ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) كتاب الأدب الأندلسي _ موضوعاته وفنونه _ ص ٢٦ .

(٣٧) نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٦ .

(٤) ديوان ابن خفاجة الأندلسي ،ص: ١٤٤، لابن خفاجة الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار صادر بيروت ، بيروت ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

أضـحت صـورة الأرض الجميلـة فـي لهـب تلـك النيران .

نلاحـظ ممـا سـبق ورود تسـمية الجنـة باللفظـة المفردة ، وبجمع التكسير (جنان) وبجمع المؤنث السالم (جنات) ولم تأت بصيغة المثنى (جنتان) ويعود السبب في ذلك إلى أن الشعراء يتمنون الفوز بجنان كثيرة تفاؤلاً منهم بالرحمة الربانية العظيمة التي يمن بها سبحانه على المتقين من عباده الصالحين ، وقد جاءت صيغة التثنية في القرآن الكريم فقط ، ولم تأت في الشعر والسبب _كما نعتقد_ أن الخالق جل وعلا هو أعلم بمنازل الجنة وهيأتها وعددها ، وقد غاب عن الشعر الكثير من الصيغ وبقيت أخرى وذلك مرهون بغياب الصورة الحقيقية أصلاً للجنة عن أذهان الشعراء و إدراكهم لها، والعقل البشري مهما بلغ يبقى قاصراً في معرفة صورتها وإدراك ماهيتها ولذلك ظل الشعراء دائرين في إطار الصورة غير المدركة للجنة وبغياب صورتها الحقيقية عنهم تغيب بعض صيغها ولم يبق لهم منها سوى تلك الجارية مجرى العموم ، ليكون الخصوص من الأمور المرتبطة بذات الله التي لا يشاركه بها أحد من البشر شعراء وغير شعراء .

وممن ذكروا (الفردوس) مشبهاً بها (بلنسية) الشاعر أبو جعفر بن سعدة الغرناطي

هي الفردوس في الدنيا جمالاً
لِسَاكِنِها وكارِهها البعوض(٣٩)

يذكر الشاعر هنا مدينة (بلنسية) فقد شبهها بالفردوس لجمالها ، فنلاحظ أنه متأثر بالجنة ، هذا التأثر الذي يوحي له بصفاتها فأشجارها الكثيفة التي لها ظل وارف وكثيف يمتد هذا الظل إلى مسافات طويلة ، والعصافير التي تشعرنا بالأمان والاطمئنان تتنقل من مكان إلى مكان فرحة ، فضلاً عما فيها من الثمار المختلفة الألوان والأشكال والطعم ، كل هذا الوصف وغيره قد أفاد منه الشاعر ووظفه لأغراضه الشعرية ، فهي جميلة ببنائها وقصورها وحدائقها وبساتينها الواسعة التي تمتد إلى مساحات شاسعة تحتوي على جميع أنواع الأشجار المثمرة ، فالشاعر عندما يريد أن يعطي لهذا الجمال حقه ليس لديه إلا تشبيه واحد آلا وهو تشبيهه بالفردوس ، لأنه لم يرَ له شبهاً في السن والجمال وقوة الأسر .

ومن الشعراء الذين استخدموا هذه اللفظة ابن هانئ وهو **يمدح الخليفة** المعز لدين الله :

تُردُّ إلى الفردوس منكم أرومةٌ
يُصلي عليكم ربُّها والملائك(٤٠)

لقد أبدع الشاعر ابن هانئ في مدح الخليفة وإبداعه يظهر جلياً في هذا البيت ، فالمعروف أن الأنساب والأحساب

موجودة في الدنيا وأن الناس يتباهون في الحسب والنسب والجاه ، وكلّها أمور دنيوية ، ويترك الإنسان تفكيره بالأخرة ، ولا يعرف أنه سوف يترك هذا كله ويتجه إلى ربه وحيداً ليس لديه أم ولا أب ولا أولاد الذين كان يتباهى بهم في الحياة الدنيا ، حتى إن التقى بهم في الجنة فسوف يشعر أن الله أكرمه أحسن إكرام وهو لقاؤه بأهله في أحسن حال ، وفي الوقت نفسه فقد افتخر الشاعر بنسب الخليفة ، وقال له إن نسبك في أحسن مكان في الجنة ، فافخر بهذا النسب لأنك سوف تلتقي هناك بالأنبياء والصالحين وحولك أهلك ومحبوك ، وكل من عمل على هداية المسلمين ونصرة الإسلام.

---

(١) نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ١٦٨ .

(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤٠٥ هـ – ١٩٨٠ ،ص٢٤٥ .

وقد أورد الشعراء مفردة الفردوس مضافة إلى الجنة ، مع بيان أن من فاز بالجنة فاز بنعيم وخلود لا ينتهيان ، ومن ذلك قول السلطان أبي عبد الله ابن الحجاج

يا أهل نجدٍ وما نجدٌ وساكنها حُسْنا
سوى جنة الفردوس والعين(٤١)

فقد جمع الشاعر بين الفردوس والجنة ، ووصف نجد و أهلها ، وإن أهل نجد يمتعون أبصارهم بهذه المناظر فهي شبيهة بالجنة في مناظرها وحدائقها وبساتينها وقصورها وزخرفة العمران كل هذه شبهها الشاعر بالجنة ، فالذي يسكن في هذا المكان يطيب له العيش ، ويستلذ في حياته ، وعليه أن لا يبتعد كثيراً عن ذكر الله ، وإنما عليه أن يتذكر هذا الجمال أن هناك أكثر منه جمالاً في انتظاره.

ووردت تسمية الجنة في القرآن الكريم مرتبطة بـ (جنة الخلد) دلالة على أنّ من يدخلها يخلد فيها فلا يموت ولا يروع ، له من النعيم فوق ما يشتهي.

ونلاحظ ذلك جلياً في قول ابن زيدون:

يا جنة الخلدِ أُبدلنا بسدرتها
والكوثر العذب زقوماً وغسلينا(٤٢)

يذكر هنا الشاعر مدينة قرطبة و بقية مدن الأندلس الأخرى التي كانت جنة الأرض من جمالها وزينتها وبهائها وبساتينها وحدائقها ورائحة الورد التي تعطر أرجاء المكان ، فهو قد استقى من القرآن الكريم لفظة (جنة الخلد) لأن مكانهم كان جنة بالنسبة لهم ، وهم يتخيلون أنفسهم ، أنهم باقون فيه إلى الأبد ، لكن الأمور لا تبقى على حالها ، فالموازين قد اختلفت وأصبح الحال يسير على خلاف ما هم عليه ، فذهب جمال الطبيعة ، وأنهارها التي جعلها الشاعر أقرب إلى نهر الكوثر الذي هو نهر في الجنة قد قل ماؤه ، ولم يصبح عذباً مثلما كان عليه في الأول ، فنرى أن الشاعر قد استخدم كثيراً من المفردات الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وربط بينها وبين الواقع الذي يعيشون فيه .

ونرى ابن هانئ جاء بلفظة (الجنة) مضافة إلى (الخلد) في مدح القائد جوهر ، وهو يقول:

ثكلتُك شمساً من وراءِ غمامةٍ
وجنة الخلدِ دونها حالَ برزَخَ(٤٣)

إن الشاعر في مدحه للقائد قد شبهه بالشمس التي تخرج من بين السحاب ، وتتصارع الشمس لتصل إلى مرادها وإرسال أشعتها الذهبية إلى الأرض لتنمو وتزدهر ، والقائد في الجيش كذلك فهو يخرج من بين الجنود مسرعاً ويحارب كل من يتصدى له ليصل إلى غاياته التي سعى من أجلها ومن أجل الحفاظ على بلده ووطنه ، وهو في ذلك سعيد ، وشبهه أيضاً بالبرزخ الذي يطلب فيه المسلمون بعد وصولهم إليه بالحصول على الجنة وعدم تركها والبقاء فيها خالدين ، وكأن الله استجاب لهم ذلك لأن دعوة المؤمن لا ترد .

إن الشعراء الأندلسيين قد تأثروا بأسلوب القرآن الكريم فجاءت أشعارهم على هذا النحو ، وينظمون على وفق الألفاظ التي يريدون أن يستقوا منها صورهم الشعرية ، وقد وردت لفظة (الجنة) مفردة مضافة إلى (عدن) أو ترد أحياناً بلفظة

---

(١) نفح الطيب ، جـ ٦ ،ص ١٨٩ .

(٢) في الأدب الأندلسي ، في الأدب الأندلسي ، د. محمد كامل الفقي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، ط ٤ ، ص ٢١٥ .

(٣) ديوان ابن هانئ ،ص ٨٣ .

(جنـات) مضـافة إلـى (عـدن) ، فمـن ورودهـا بلفظة مفردة قول ابن الخطيب :

أصبحَ الخدُّ منك جَنّةَ عَدنٍ
مُجتلى أعينٍ و شَمَّ أُنوفِ(٤٤)

نلاحـظ فـي هـذا البيـت أن الشـاعر قـد استعمل جنة عدن في غرض الغزل بأسلوب أقرب إلى النزعة الدينية ، فتشبيه الخد بجنة عدن أقرب التشـبيهات وأنسـبها للشـاعر **لسـان الـدين بـن الخطيب** ، فهذا الخد من جماله وحسنه فأنه يسرق الأبصار إليه والتمتع فيه والنظر إليه ، متجاهلين مـا حـولهم ، فهذا يعطينـا صـورة قريبـة إلـى الجنـة وجمالها ، فهـي تسـحر الأنظـار ، ويبقـى الإنسـان واقفاً أمامها ، مندهشاً من ذلك المنظر البهـي ، فالشـاعر مهمـا حـاول أن يصـف فهـو لا يعطـي حقها الكامل في حسنها وجمالها ، وجنة عدن هي حديقـة جميلـة بأشـجارها وثمارها ومائهـا العـذب ، وخد المرأة الحسناء ليس فيه هذه الصفات وإنما جـاء بتعبيـر مجـازي يريـد أن يرينـا كيـف جذبـه حلاوة هذا الخد في حسنه وبهائه فعجز لسأنه عن الإتيـان بألفـاظ متكـررة قـد قالهـا الشـعراء قبلـه فاختصر الألفاظ وألوان الكلام وجاء بلفظة شاملة وموحية لهذا الجمال وهي لفظة (جنة عدن) .

ومـن الشـعراء الـذين اسـتعملوا لفظـة (الجنـة) مفردة مضافة إلى (عدن) قول ابن زيدون :

بوّأتني نُعماك جَنّةَ عَدْنٍ
جالَ في وصفها فضل القريض(٤٥)

يخاطب **ابن زيدون** المعتضد بالله ويشكره علـى إتاحتـه لـه بـأن يتنـزه فـي حدائقـه وبسـاتينه فأصبح ابن زيدون يجول في ذلك المكان وعيناه تلتـف يمينـاً وشـمالاً مـن حسـنه وبهائـه ، وانطلـق يصـف ذلك المكان بكلمة واحدة مخصوصة وهي (جنـة عـدن) ، تلـك الكلمـة التـي لطالمـا شـدت المسلمين الأوائل عندما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتحدث عنها ، فكان خيالهم يسرح بعيداً يريـدون أن يعرفوا أو يتخيلوا ذلك المكان ، وظل الشعراء يستخدمون هذه الكلمة لكل مكان يسحرهم ويجذب النفس إليه وترتاح وتطمئن له ، فيبوح الشاعر للمكان بأحزانه و الأمه وما يجول في نفسه ، فيكلم كل ما حواليه من الطبيعة فترتاح نفسـه وتسـتعيد طاقاتهـا لأنـه وجـد مـن يتقبـل أن يستمع إليه .

جنة المأوى وهي من أسماء الجنة التي وردت في أشعار الأندلسيين متأثرين بأسلوب القرآن الكريم ، ووردت لفظة (الجنة) مفردة مضافة إلى (المأوى) ، من ذلك قول ابن خلدون:

هي جنةُالمأوى لمن كلفَتْ
آمـــالهُ بمطـالـب المجـدِ(٤٦)

فالـذي يريـد أن يصـل إلـى مبتغـاه ويطلـب المجـد والعلا والارتقاء بمراتب أعلى فأنه يحصل عليه ، ومن يريد أن يذهب إلى الجنة ويبقى فيها فعليه أن يعمل بجد ، كالذي يتمنى أن يصل إلى المجد ، لأنه من شيم الرجال ذوي الأمال الكبيرة والعظيمة.

دار السلام من أسماء الجنة ، ووردت في القرآن الكـريم ، لقولـه تعـالى : **{لَهُـم دَارُ السَّـلامِ عِنْـدَ رَبِّهِـم}**(٤٧) ، إن الله سبحانه وتعالى سماها بهذا الاسم لأنها دار سلامة من كل مكروه وبلية ، تصيب الإنسان ، وهي دار الله ، ومن أسماء الله الحسنى (السلام)، لذلك ارتبطت بمن سلم هذه الدار وسلم أهلها ، ويقصد بها الجنة ، ومن ذلك قول الشاعر ابن هانئ :

---

(١) المصدرالسابق ، جـ ٦ ، ص ٤٧٢ .
(٣) ديوان ابن زيدون ، ص ١٤٢ .
(١) نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٨٥ .
(٢) سورة الأنعام : آية : ١٢٧ .

فسر أيّـُها الملك المطــاع مُـؤيــداً
فللدين والدنيا إليك تَطلُّـــــعُ
وقد أشعرت أرضَ العراقيين خيفـــــةً
تكادُ لها دارُ السلام تَضعْضَعُ(٤٨)

في هذا البيت يمدح الشاعر القائد جوهراً ، ويذكر مسيرته التي خرج من أجلها إلى البلدان الأخرى للفتوحات ، وخروجه بجيش مسلح من كل الجوانب ، فعند النظر إليه نرى الهيبة والقوة والشموخ ، حتى أن أهل العراق عند وصول الجيش إليهم نظروا مذهولين إليه ،إن دار السلام تتواضع أمام هذه الأرض الطيبة فشبه أرض بغداد بدار السلام لحسنها وجمالها وسلامتها من كل شر .

وقول **ابن سعيد العنسي:**

دار الســلام حوَيت من
كُلِّ المحاسن قد حوى
مجموعُ حُسنٍ قد ثوى
في جَنّــةٍ وبهـا ثوى(٤٩)

فإن دار السلام هي حلة من الجمال ، ومعانٍي البيت تبرز ما فيه من حسنٍ وإبداع .

لقد استطاع الشعراء الأندلسيون توظيف المعانٍي الإسلامية التي جاءت مخصصة لوصف الجنة فأبدعوا في تسجيل صورة رائعة للجنة وذلك بإضافتهم أوصافاً من خيالهم الخصب مما ساعد على إبراز شعرهم .وإن غزارة مفردات الجنان في البيئة الأندلسية جاءت من السعة بحيث ناسبت صورها موضوعاتهم الشعرية على مختلف أنواعها ، من غزل ورثاء وفخر ومدح وغير ذلك .

صورة النعيـــم الحسي للجنـــــــة

جاءت الجنة بأوصاف كثيرة في القرآن الكريم ، وكذلك فقد تباينت تلك الأوصاف فيما بينها ،فبعضها كان مختصاً بالوصف الحسي المجرد للجنة ، وبعض آخر كان ضمن إطار الوصف المعنوي لها ، ولعل المتتبع للشعر الأندلسي يجد أن الشاعر لم يذهب بعيداً عن هذا التوظيف ، ومن خلال رصدنا لموضوع الجنة في موروث الشعر الأندلسي اتضحت لنا حقائق كثيرة بخصوص هذا الأمر ، من ذلك أن الشاعر الأندلسي كان شغوفاً باستخدام المفردات ذات الأوصاف الحسية وكذلك الأمر في توظيفه للمفردات غير الحسية ، ومن هنا فقد وردت الجنة في الشعر الأندلسي من حيث صفاتها بألفاظ معينة ، إذ شغل الوصف الحسي للجنة مساحة واسعة في مجمل نصوص الأندلسيين الشعرية المخصصة لوصفها ، و أن الأندلسيين تعاملوا في كثير من نصوصهم الشعرية بالوصف الحسي المجرد للجنة مستلهمين ما في القرآن الكريم من صور ومواد حسية كانت المادة الرئيسة للشعراء في عموم نصوصهم تلك .

(٣) ديوان ابن هانئ ، ٢٠٧ .

(٤) نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص٤٤ .

وصف حدائق الجنة وظلالها وأنهارها	ابن عبد ربه	**كم جنَّة لك قد سكنت ظلالها متفكـــها في لذةٍ وتَنَعُـــم**(٥٠)
	ويقول ابن زمرك في موشحته :	**ياساكني الجنة العريف أُسكنتم جنة الخلـــود** .... **والنهرُ قد سُلَّ كالحســـام لراحة الشّربِ مستديم**(٥١)
	قـــول الشـــاعر القاضي المزدغي	**يا فاسُ حيَّ الله أرضك من ثرىً و سقاكِ من صوبِ الغمـامِ المسبـلِ يا جنة الدنيـــا التي أربت عـلى حمصٍ بمنظرها البهيّ إلاجمـــــل غُرفٌ على غُرفٍ ويجـري تحتهـا مـــاء ألذُ من الرحيق السلســـل وبســاتنٌ من سندسٍ قد زخرفت بجـــدأول كإلايـــم* أوكالفيصـــلِ*(٥٢)**
وصف ملابس أهل الجنة وحليهم	قول ابن جابر	**فـأثرت الجنات من حـلل ومن حليَّ لها رَعْيـــاً لذلك التزهـــــــد وما ضَر منّ قد بات والصوف لبســـه وفي السندس الغالي غداً سوف يغتدي**(٥٣)
	قول ابن حمديس	**اذكرتنا الفردوس حين أزيتنا غُرفاً رفعت بناءها وقصـوراً فالمحسنون تزيدوا أعمالهـم ورجوا بذلك جنَّة وحريـــراً**(٥)

(٥٠) ديوان ابن عب

الوصف الحسي لنعيم الجنة	اسم الشاعر	الشاهد الشعري

د ربه الأندلسي حققه وجمعه وشرحه د. محمد رضوان الداية ،ط١ ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩ ، ص١٥٠ .

(٥١) ديوان ابن زمرك ،ص٥٣٤ –٥٣٥ ، تحقيق : محمد توفيق النيفر ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ١٩٩٧ م

(٥٢) نفح الطيب جـ٧ ، ص١٢٨ .

(٥٣) نفح الطيب : جـ٧ ، ص ٣٦٣ .(٥) المصدر نفسه : جـ١ ، ص ٤٩٢ .

الجدول على سبيل المثال لا الحصر

فلقد ذكرت الآيات القرآنية أن في الجنة حدائق غناء ، وبساتين كبيرة وعظيمة ، تتميز بظلها الوارف ، وخضارها الدائم وهوائها المعتدل ، وأهلها يتمتعون بهذا الجمال بالحدائق وظلالها وأشجارها ، وفي الحقيقة وصف القرآن الكريم حدائق الجنة وذكرها بأوصاف يمكن للحواس البشرية أن تدركها و أن يربطوا بين بيئة الجنة والبيئة التي يعيشون فيها في الدنيا ويعرفوا الفرق .

وعند رصد لبعض الأبيات الشعرية وجدنا أنّ الشعراء قد أكثروا من وصف الحدائق على نحوٍ لافت وذلك لجمال البيئة الأندلسية وما اشتهرت فيه من البساتين الخلابة ، والأنهار الرقراقة التي تجري فيها المياه بشكل ينساب انسياباً جميلاً بما في بيئتهم التي يعيشون فيها ، إذ ذاك يعرفون الفرق فيما بينهما

ولعل الأندلسيين قد شبهوا بيئتهم الطبيعية بالجنة وقد استمدوا هذا الوصف من القرآن الكريم ،والسبب في ذلك أن البيئة الأندلسية قد توافرت فيها من الطبيعة ما أبدع الخالق صنعه ، فمناخها المعتدل وكثرة أشجارها فضلاً عن أرضهم الخصبة التي ساعدت بشكل كبير على نمو مثل هذه الحدائق ، فكان الأندلسيون يتمتعون بظلال أشجارها ، وينتقلون فيها مستلذين بنعمائها ، متخذين من هذه المناظر شبها في وصف جنة الأخرة و إن كانت تلك على غرار التخيل إلا أن الشعراء جعلوا وجهاً للمقاربة ، و قربوها إلى أذهان الناس كي يستطيعوا تخيلها بسطوا الألفاظ مما جعلوها سهلة الدخول إلى العقول بمجرد من قراءتها و تحبيب المكان من خلال التحدث عنه مع الآخرين.

و نلاحظ أن **ابن زمرك** كان من المتأثرين بالطبيعة الأندلسية وتشبيهها بالجنة ، فالذي يسكن في مكان حسن المنظر ،عليل الهواء، فكأنه قد أقام فيه وأخلد إلى الأبد ، لأنه يعطي راحة نفسية إلى القلب ، وتطيب الجسم ولاسيما إذا وجد في مثل تلك الأماكن ، ومن هنا تنفتح أسارير الشعراء وتتوقد قرائحهم بقول الشعر وكأنّ المكان يزودهم بالكلمات و أوراق الشجر تساعدهم على نظم الشعر ، أما النهر الجاري فأقرب إلى الحبر الذي يكتبون فيه فيكف ولا يبدع الشاعر في القول وهو في مكان كهذا فكأنه يخلد فيه ويسعد إلى الأبد وعندما ينظر إلى أي جهة فيه ينشرح صدره من حسنه وجماله ولا يكتمل جماله إلا إذا طوقته السعادة والسلامة والأمان ، ويذكر الشاعر الجبل العظيم الشامخ الذي يكون مغطى بوشاح أخضر يزينه ، وهذا الجبل يعطي وقاراً وهيبةً ، ويتخلل المكان الجميل نهر كأنه حافة السيف الحاد وذلك ما يشير إلى جمال الصورة ، إذ أن حافة السيف تكون لامعة ، ومن شدة لمعانها فأنها تكون مثل المرآة تعكس الأشياء ، وأقرب صورة للشاعر وهو يوضح لنا مثل هذه الفكرة هو النهر لأنه لا يوجد شيء في البستان يعكس لنا صورة الأشياء إلا النهر الصافي الذي يخترق الأرض بنقائه و لا تشوبه أية شائبة ،فهو دائم الجريان مستعد لأن يسقي أي شخص ظمآن دون مقابل ، فهو يعطينا

من مائه بكرم ،ويتدفق بشغف ليشبع كل من مدت يده إليه ، ويسقي تلك الأرض الطيبة ، والزهور المبتسمة طول الوقت ، و كأن منظر الورد و أوراقها مفتوحة ، ترحب بكل من يدخل إلى تلك الأرض الطيبة و كأنها تهم بعناقه والترحيب به ، فكيف لا يبدع أحد وهو في هذا المكان ؟ ، وكيف لا يتمادى في وصفه ؟ ، وهو الذي يعطي كل شيء بدون مقابل ، أنه مكان خصص للعطاء لا للأخذ ، ولكنه أخذ شيئاً واحداً هو سحر القلوب و أسر العقول وتسخيرها في مدحه هذا المكان كيف يشبهه الشعراء بالجنة ولا فرق بينه وبينها والمكانين من صنع الباري جل وعلاه.

و قول الشاعر **القاضي المزدغي**: نتفق أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجنة منازل وغرف ، إذ أنّ هناك غرفاً فوق وتحتها غرف ويجري من بين هذه الغرف النهر الذي شبهه الشاعر بالرحيق الذي هو (الشراب الذي لا غش فيه)(٥٤) ، أو هي الخمر الصافية خالصة من كل غش ،فشبه النهر بالرحيق لعذوبته وصفائه ونقائه ، وعندما عاد إلى البساتين شبهها بالسندس لخضارها و نعومتها ، ويزين البساتين جدول الماء الذي يشق أراضيها ، فتشبه الأرض في هذه الحالة قطعة القماش المزخرفة التي تحجبنا ألوانها ، فما أبدع من صنع الطبيعة على هذه الأشكال التي مهما وصفها الشعراء فأنهم يعجزون و لا يعطون للطبيعة حقها الكامل من الجمال لغزارتها وكثافتها و خصوبتها .

من ذلك كله يتضح أن الشعراء قد أفاضوا في ذكر حال حدائق الجنة و أشجارها و ثمارها ، ووصفوها وصفاً جميلاً ذاكرين سعتها و التفاف أشجارها ، وكثافة نباتها ، وكثرة العناية والاهتمام بجمالها ، وهذا كله مأخوذ على السياق نفسه من وصف الله سبحانه و تعالى لنعيم جنته و حدائقها و أشجارها و ثمارها ، قال تعالى : {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}(٥٥) ، وفي هذه الأوصاف متعة زائدة ، وراحة تامة لأهل الجنة تبعث السرور في القلب ، والبهجة في النفس ، وأما وصف ظلال الجنة فأنه ناتج من كثافتها وكبر حجمها ، وقد تخيل أغلب الشعراء صور الحدائق التي وردت في أشعارهم و إن لها ظلاً مديداً يوفر لهم الراحة والهدوء ويشعرون بالاطمئنان والأمان ، جاء ذلك كله بوصف جاد و مؤثر ، وصف نابع من وعي الشعراء المطلق بأهمية الجنة لدى المتلقي .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ما أعده لأهل الجنة من أنواع الملابس فبين أن ملابس أهل الجنة تتكون من الإستبرق والحرير والسندس ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى أنواع الحلي فذكر الأساور من اللؤلؤ والذهب والفضة ، فالله سبحانه و تعالى قد وفر لأهل الجنة اللباس والزينة معاً ، فاللباس يدل على الجمال والوقاية والستر والحلي تدل على التزيين والتكريم .

وحين بحثت في الشعر الأندلسي عن زينة أهل الجنة ولباسهم وجدت أنها قليلة جداً ، وأن الشعراء لم يتعمقوا في هذا المجال من حيث ماهية

(٥٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ص ٦٩١ / للشيخ ابي علي الفضل .

(٥٥) سورة الرحمن : آية: ٦٤ .

تلك الجنة وأوصافها سوى لمسات معينة من ذلك

قول ابن جابر :

فــأثرت الجنات من حــلل ومن
حليَّ لها رَغْيــاً لذلك التزهـوما
ضَر منّ قد بات والصوف لبســه
وفي السندس الغالي غداً سوف يغتدي(٥٦)

نلاحظ في هذا البيت صورة واضحة عن لباس أهل الجنة من (سندس) و (حلل) أو (حلي) فالشاعر يبين أنّ الذي يزهد في دنياه ويفضل لباس الصوف ولا يستكثر لدنياه فأنه في الأخرة يلبس من السندس الذي هو لباس أهل الجنة .

ويقول **ابن حمديس:**

اذكرتنا الفردوس حين أرْيتنا
غُرفاً رفعت بناءها وقصــوراً
فالمحسنون تزيدوا أعمالهـم
ورجوا بذلك جنَّة وحريــراً(٥٧)

فالشاعر وجه كلامه إلى الناس بشكل عام ، فالذي يعمل عملا صالحاً مخلصاً في عمله ويزيد عليه من دون تذمر فأنه يرجو وجهة واحدة يتوجه إليها هي دخول جنة عدن ، يلبس لباس أهلها المصنوع من الحرير الذي لا يلبسه إلا المترفون في الدنيا ، فالمسلم يريد لبس الأخرة التي لا عناء فيها ولا هم ، وقد جاء البيتان على أسلوب القرآن الكريم نفسه في وصف الجنة ، قال تعالى ذاكراً اللباس الذي سوف يتحلى به أهل الجنة : {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}(٥٨) ، وقال تعالى على وصف آخر للباس أهلها : {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحاَتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}(٥٩) .

تبين أن الشعراء قد أفادوا من القرآن الكريم في وصف ملابس أهل الجنة وحليهم و استخدموها في أبياتهم وأضافوا إليها شيئاً من مخيلتهم مطلقين العنان لها في وصف ملابس أهل الجنة بصور مشرقة وجميلة تتيح للقارئ أن يتمعن فيها ويقراها مرارا ليتزود من جمالها الفتان وصورها المشرقة ، فلينظر الإنسان ما أعده الله له من نعيم في الأخرة، فالشعراء قد سلكوا مسلكاً قريباً إن لم نقل مشابها لذلك التوظيف في أشعارهم ، و قد نجحوا في ذلك ، وهذا ما نراه جلياً في دواوينهم الشعرية .

(٥٦) نفح الطيب : جـ٧ ، ص ٣٦٣ .
(٥٧) المصدر نفسه : جـ١ ، ص ٤٩٢ .
(٥٨) سورة فاطر : آية : ٣٤ .
(٥٩) سورة الحج : آية : ٢٤ .

الوصف الحسي لنعيم الجنة	اسم الشاعر	الشاهد الشعري
وصف نساء أهل الجنة	قول ابن راجح[٦٠]	و أبدى لنا حُور الخيـام تــزَّفُّ في حُلى الحسن والحسنى وحَلي الملامح تــرى حَيَّ تلك الحـور مَـهْيَـــعٌ يَـــدلّ ، وهـل حسمٌ لداء التبـــارح ويـا دوحـة الريحـان هـل لـي دعـوة لعفرِ عفار إلأنس بينَ إلاباطـــحِ[٦١]
	قال ابن رضوان [٦٢]	هذا محـلُّ المنى بالأمن مَعمـورُ مَنْ كلَّهُ فهو بالأمــال محبـــورُ مأوى النعيم بهِ ما شئت من رفٍ تهوى محاسنُهُ الـوالدان والحُـور[٦٣]

(١) هو محمد بن علي ابن الحسن بن راجح ، الشريف الحسني ، أبو عبد الله يعرف بابن راجح ،صاحب رواء وأبهة ، توفي سنة (٧٦٥)هـ ،ينظر :نفح الطيب ،جـ٦،ص ٨٥–٨٨.

(٦١) المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٨٦ .

(٣)هو عبدالله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي ، أبو القاسم من أعيان كتاب الدولة المرينية في المغرب معاصر لابن خلدون ، أصله من مالقة ، كان أديباً مترسلاً من رجال الادارة في الأندلس، توفي سنة ٧٨٢هـ١٣٨٠م ، ينظر : الأعلام ، جـ ٤ ، ص١٤٧ .

(٦٣) المصدرالسابق ، جـ٦ ، ص١٠٩ .

لقد استخدم الشاعر لفظة **(الحور)** أكثر من مرة فهو شبه النساء اللاتي في الخيام بالحور لجمالهن ، فهن متزينات ، متحليات بالحلي والأساور ، فمن نظر إليهن خطر في باله حور الجنان ، فالشاعر قد استخدم ما في الجنة في وصفه وسخرها في شعره ، وقد ذكر **(الريحان)** الذي هو نبات له رائحة زكية ، فعندما يهب الهواء على هذا النبات يطيب الجو ، وتنفتح النفس لمثل هذه الروائح ، فكيف لا يستغل الإنسان وقته ويستثمره في غرس الأعمال الطيبة والصالحة وهو يقرأ القرآن الكريم ويقرأ مثل هذه الأبيات التي فيها وصف للجنان فهذا جزء مما ينظره .

وإذا حل الإنسان بذلك المكان الجميل الذي أعده الله له فهو تحيطه السعادة و الطمأنينة والسلامة و الأمان وتلازمه السعادة ولا تفارق الابتسامة شفتيه كيف لا يكون سعيداً والحور و الولدان حوله ؟ فالحور شكلهن شديدات بياض الأعين ، شديدات سواد سوادها ، مع بياض البشرة وصفائها ونقائها وقد تعمقوا في وصفهم واستقوا مادة تشبيههم من أسلوب القرآن الكريم تميز به من دقة في الوصف ، واشتمال الصورة ، قال تعالى : **{كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}**[٦٤] .من هنا نجد أنّ الشعراء الأندلسيين قد ذكروا **حور العين** في نصوصهم الشعرية متأثرين بالأوصاف الواردة في القرآن الكريم ، وقد استمدوا هذه الصفات في رسم صورة جميلة لنساء الدنيا والمبالغة في تحديد جمالها بتشبيههن بحور الجنة والفرق بينهن عظيم ، وفضلاً عن ذلك كله فقد هيأت قرائح الشعراء الأندلسيين لصور الجنة وما فيها من الأوصاف ما لم يرد في القرآن الكريم ، وهو ما نعده إضافات موفقة لم تأت لو لا امتلاك أصحابها المواهب الفذة ، والقدرة على الاستنباط والتخيل والتأمل .

صورة النعيم المعنوي والروحي للجنة

لقد خلق الله الإنسان من جسد و روح ، و جعله بفطرته يتمتع بالمتاع الروحي والمادي معاً ، على الرغم من أهمية المتع المادية للإنسان كالمأكل والمشرب و المسكن ، لكن لا يستطيع أن يسعد بذلك دون وجود الراحة النفسية ليستلذ و يأنس بهذه الملذات ، إن الإنسان بفطرته التي خلقه الله بها لا يكتفي براحة الجسد فقط دون راحة البال معه ، و إن حصل نقص في الراحة الجسدية أو المعنوية للإنسان فلا يمكن أن تهدأ نفسه و لن يصلح باله ، و قد سبق أن لاحظنا كيف وردت صفات الجنة الحسية والمادية في القرآن الكريم إذ ذكرت الآيات القرآنية الصفات التي تجمع بين أنواع النعيم التي تلبي ما ترغب عليه فطرة الإنسان ، فوجدناها تصف طعام أهل الجنة و شرابهم و لباسهم ، فضلاً عن تكريمهم ، و الحفاوة بهم ، و الرضا من الله سبحانه و تعالى والآيات التي تصف نظرة وجوههم و إشراقها و استبشارها . فضلاً عن أن هناك أنواعاً أخرى للنعيم الروحي لا يمكن لأحد أن يعرفها أو يتكهن بها ، قال تعالى : **{ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ**

(٦٤) سورة الدخان : آية :٥٤ .

الْخُلُودِ*لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}[٦٥]

ومن بين هذه الصفات :

أ. شعور أهل الجنة بالرضا والسرور والفرح :

لقد استلهم شعراء العصر الأندلسي من الصور القرآنية و مفاهيمها التي وردت لوصف النعيم اللا محسوس في الجنة ، ومن هنا نجد وصفهم للحالة النفسية لعباد الله الصالحين ، حين يقضي الله سبحانه وتعالى بينهم ، و يحكم لهم سبحانه بدخول الجنة و النجاة من النار ، و إن مجرد أن يبتعد المؤمن عن النار ، فهي نعمة روحية عظيمة و يشعر بحالة نفسية مرتاحة إلى أبعد حد و يأمن من غضب الله سبحانه وتعالى والنجاة من النار و ما ينتظر الفاسقين من عذاب شديد لا يهدأ ولا ينقطع ، حيث **يقول مروان الطليق** [٦٦]:

إلا إن دهراً هادماً كلّ ما نبني
سيبلى كما يبلى و يفنى كما يفنى
وما الفوز في الدنيا هوالفوز إنما
يفوز الفتى بالربح فيها من الغبنِ
يجازي ببؤس عن لذيذ نعيمها
ويجني الردى مما غدت كنهُ تجني[٦٧]

مهما حاول الإنسان أن يعمر في دنياه فيبني ويشيد القصور و يزرع الأراضي و الحدائق و البساتين ، حيث أنّ الحياة العصرية في الأندلس قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من التحضر و الازدهار و الرقي ، فإن هذا سيبلى و يزول وينتهي و كل ما بذل الإنسان فيه جهداً سوف يعود إلى الأرض تراباً ، فالإنسان الذي يتخيل أنه بعمله و تشييده لهذه القصور و المدن و الحواضر قد وصل إلى مبتغاه و نجاحه و توقع أنه معمر في هذه الدنيا فإنه يعد نفسه قد أخلد الخلود الأبدي لكن الحقيقة على عكس ذلك لأن العيش الأبدي هو في الأخرة فيصبح سكن الإنسان أما في الجنة التي يكون الدخول إليها بواسطة أعماله و كأنه يعد مفتاح الدخول ، أو يكون إلى النار التي يدخلها أيضاً بأعماله ، لكن الدنيا مهما أعطاها الإنسان وبذل فيها حياته ، وأخلص لها ، فأنها لا تجازيه بخير و إنما تقف ضده و تملأ حياته شقاء و لا تسعده و كل همها أن تأخذ من الإنسان أكثر و أكثر حتى تخور قواه ، فأهم فوز هو الفوز بالأخرة ذلك الذي يتمناه الجميع و يحظى به كل من عمل ما أمر الله سبحانه و تعالى ، و **يقول ابن أبي الزمنين**[٦٨]:

(٦٥) سورة ق : آية : ٣٤-٣٥ .

(١) هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، من أمراء بني أمية بالأندلس ، وكان أديباً شاعراً مكثراً ، وسجن لأنه أحب جارية رباها أبوه ، ونظم أكثر شعره في سجنه ، توفي سنة (٤٠٠) هـ ، ينظر : الأعلام ، جـ٧ ، ص٢٠٨ .

(٦٧) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، د. إحسان عباس ، ص٢٠٥ .

(٦٨) هو أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (٣٢٤ / ٩٣٥ – ٣٩٨ / ١٠٠٧ أو ١٠٠٨م) ، وظهر عصر المنصور أو الفترة التي تليه إلى سوط الخلافة و نبغ في دراسة الفقه و ألف "مدونته" المشهورة وشهرته بتصانيفه في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين ، وقد أجمع الناس على الإعجاب بشعره الذي يغلب عليه طابع الدين وشيء من التشاؤم ، ينظر

أيـــــها المرءُ إن دُنياك بحـرٌ
طامِـــحٌ موجُـهُ فلا تأْمننهـــا
و سبيـــل النجـــاة فيها مبين
وهو أخذ الكفاف و القوت منهـا(٦٩)

فالذي يركب قارب النجاة ليترك ما حوله من النعيم و الترف و المال و الجاه و يأخذ فقط الذي يعينه على العبادة والصلاة ، فقد كان الزهاد يبتعـدون عـن المـدن ويـذهبون إلـى الجبـال و الكهـوف ليعبـدوا الله فـي الخلـوة و لا يلهـيهم عـن ذلك شيء و طعامهم في ذلك شيء قليل ليعطيهم طاقـة مـن أجـل أن يكملـوا مسيرتهم فـي المداومـة علـى عبـادة الله سـبحانه و تعـالى ، لأن الـذي يعطي الأمان إلى الدنيا تصبح مثل أمواج البحر الهائج التي تأخذ كل من يقترب إليها و تبتلعه بين أمواجهـا ، والـذي يريـد أن ينجـو يركـب بالقـارب ليصل إلى بر الأمان و يفوز بالذي أعده الله لـه ، و **أنشد ابن زمرك :**

وســافر عن دار الفناء ليجتنـــــــي
بمـــا قدَّمَ اليوم السعادَة في غَدِ
وقـــــامَ بأمر الله حَقَّ قيامـــــــه
بعزمـــــةِ لأوانٍ و لا مـــــتردَّدِ
لئن ســـارَ للرحمن خيرَ مـــــــودع
وحَلَّ من الفردوس أشرف مقعَدِ(٧٠)

فالرحيـل عـن الـدنيا هـو سـفر فيحـزم الإنسان أعماله في حقيبة الرجاء تلك هي الأعمال التي أمره بها جلّ و علا و يرجو منه أن يتقبلها و يرضى عنه ، فالذي يعلم أن قد أخلص في إنجازه و مشى على الطريق القويم فأنه لا يخاف أبداً و بالـه يصـبح مرتاحـاً لأنـه لـم يعـص أوامـر ربـه و ينتظـر فقـط دخولـه إلـى المكـان الـذي يسـعد فيـه طول حياته و يهنأ به ، و هو يتقدم بين يدي ربه لا يعتريـه الخـوف أو الشـك و إنمـا تمـلأه الثقـة و السعادة الغامرة لالتقائه بحبيبه خير لقاء و معه أعمالـه ليسـلمها إلـى ربـه كمـا أمـره بـه وبالمقابـل يعطيـه الله مكانـاً قـد حجـزه لـه فـي الفردوس ذلـك المكان الذي يخلد فيه و لا يخرج منه أبداً .

و **قول لسان الدين :**

و أحط رحلي في كريم جوارِهِ
أرجو نعيماً في الجنان مقيماً(٧١)

فالإنسان يمـلأه الفرح والسرور إذا حصل على مبتغاه فهو في فرح دائم و طمأنينة لا تنتهي و لا تتبـدل منعمـون بمـا حبـاهم الله مـن الخيـر الكثير ، والنعيم المقيم على أحسن صورة ، فلا يصـل إلـيهم الهـم ، و لا يمـر علـيهم الغـم و لا تضـيق صـدورهم ، و لا تستوحش نفوسـهم ، و لا تذهل عقولهم قد صفت لهم الدار ، و أطمأن بهم القرار(٧٢) ، فهـم يشـكرون الله علـى فضـله و منـه

تـاريخ الفكـر الأندلسـي ، تـأليف انخـل جنثالـث بالنثيـا ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص٩٤ .

(٦٩) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،لأبي منصور ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط القاهرة ، جـ١ ، ص ٤١٠ .

(٧٠) نفـح الطيـب جــ٧ ، ص٢٣٦ ، ينظـر : أزهـار الرياض جـ٢ ، ص١٥٢ .

(٧١) نفح الطيب جـ٧ ، ص٢٩٨ .

(٧٢) ينظر نعيم الجنة في القرآن الكريم والسنة ، د. عبد اللطيف عاشور ، ص٦٧ .

بأن جعل إقامته دائمة في مكان العز و الهناء و يشعر بالرضا التام الكامل عن الله تعالى ، لما يجد من أنواع النعيم التي أعدت لهم في الجنة لتكون لهم جزءاً و ثواباً على ما بذلوا من طاعة الله و رضائه ، قال تعالى : **{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ}**(٧٣) ، إن رضا الله على المسلمين هي أكبر بشرى و يغمرهم الفرح والسرور بهذه النتيجة السعيدة التي لا يحصل عليها إلا من رضي الله عنه ، و **يقول ابن دراج :**

كأن شعاع الشمس من نور هديهـــا
وعرف نسيم الروض من طيبها نفح
ضربت بحزب الله في الأرض مقدمّـــا
إلى متجرٍ، جنـــاتُ عدنٍ لهُ ربـحُ(٧٤)

فالذي يضع هدفاً في حياته و يسير على ضوء ما مخطط فهو يسلم و ينجو و يتحقق له ما يريد ، فالناس ينقسمون إلى فئتين ، فئة تدخل إلى النار و فئة تدخل إلى الجنة ، فكل إنسان بما عملته يداه في الدنيا ، فمن عمل صالحاً و اتقى ربه سيكون مع الرابحين أصحاب الجنة ، و من اجترح السيئات سيلقي ما جنته يداه بأن يخلد في عذاب شديد خسر الدنيا والأخرة ، ومن هنا أشار الشاعر إلى إن ذكر الفوز بالجنة ، والدخول لها هو الربح العظيم ، والفوز الكريم ، وكل ذلك دلالة على المبالغة في وصف النعيم الروحي للجنة .

ب. صحبة الأنبياء والصالحين في الجنة :

إن من النعيم المعنوي في الجنة هي صحبة الأنبياء و الصالحين و الأحباب في الدنيا ، و لا نغالي إذا قلنا إن من أفضل متممات النعيم في الجنة هي الصحبة للصفوة المختارة من الأنبياء والمرسلين و الشهداء والصالحين ، و الآيات القرآنية قد ذكرت أن بعضاً من أهل الجنة ستكون منزلتهم مع هؤلاء الصفوة ، وهذا دليل على تشريفهم ، وطيب مآلهم ، و حسن منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى ، و لاشك في هذا الموقف للمؤمن نعمة روحية عظيمة ، إذ تطمئن روحه و هو مستقر النفس هادئ الروح لعلمه أنه سيحظى بهذه الصحبة الطيبة من الصفوة المختارة ، فهذا دليل على تشريفهم و طيب مآلهم و حسن منزلتهم عند الله سبحانه و تعالى ، فضلاً عن دلالته على اطمئنانهم على حالهم لإزالة ما في نفوسهم من خوف(٧٥) ، فمن ذلك قول سعدونة(٧٦) :

لعلَّني أحظى بتقبيلهِ في
جنـــة الفردوس أنسى مقيـــل
في ظل طوبى ساكناً آمنـــاً
أُسقي بأكوابٍ من السلسبيل(٧٧)

(٧٣) سورة التوبة : آية :٢١ .

(٧٤) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة – ص٩٥ ، ديوان ابن دراج القسطلي – تحقيق الدكتور محمد علي مكي ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص٣٨٧ .

(٧٥) ينظر زبدة التفسير من الفتح القدير، محمد بن سلمان عبدالله الأشقر ، ط٢ ، ص٦٦٠ .

(٧٦) هي ام السعد بنت عصام الحميري ، من أهل قرطبة و تعرف سعدونة من النساء المشهورات بالأندلس و لها رواية عن أبيها و جدها و غيرها ، ينظر : نفح الطيب جـ٤ ، ص١٦٦ .

(٧٧) المصدر نفسه : جـ٤ ، ص ١٦٦ .

تتمنى الشاعرة إحدى الأمنيات وهي الوصول إلى الجنة و تقبيل المصطفى (صلى الله عليه وسلم) لأن المسلم بمجرد دخوله الجنة التي يكون الدخول إليها شاقاً وليس بسهولة ، فالذي يصل إلى ذلك المكان يتاح له كل شيء ، و يتمكن من الحصول عليه بشتى الطرق حتى و إن كان صعباً عليه في الدنيا ، من ذلك جوار الحبيب المصطفى (عليه أفضل الصلاة والتسليم) فهناك العيش الرغيد تحت ظلال الأشجار الوراقة والأغصان المتدلية بالثمار الغنية بالأشكال و الألوان و العصافير التي تنتقل من غصن إلى غصن ، كل هذا يدل على الأمان و إن لا شيء يكدر الحياة هناك ، فالله جعل هذا السكن الدائم آمنا للإنسان مطمئناً لا يزعجه و لا يضايقه هم ولا غم لأن هذه تزول بانتهاء الحياة في الدنيا و يشرب الإنسان من أنهار الجنة ذات الأنهار المليئة بالعسل واللبن و الخمر ، صافي الذهن والبال لا يفكر بعمل و لا بأهل ، بل هو مرتاح ، شباب متجدد فكل منا يتمنى هذه الحياة الهنيئة ، **يقول ابن زمرك:**

يؤمون من قبر الشفيع مَثابةً
تطلَّعُ منها جَنَّةٌ ذات أفنـــا
إذا نـزلـوا من طـيبةٍ بجـــواره
فأكرم مولىً ضَمَّ أكرم ضيفإن[٧٨]

إن جوار الحبيب المصطفى من أهم النعم لدى الإنسان في الدنيا والأخرة ، ففي الدنيا يتمنى كل مسلم زيارة قبر الحبيب (صلى الله عليه وسلم) وتقبيل ذلك المكان المبارك ، وطلب الرحمة منه والشفاعة ، فيشعر المسلم براحة جميلة لا مثيل لها ، فكل إنسان يتمنى القرب و التوسل بالنبي ليشفع له عند ربه ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يبخل على أي إنسان فهو كالأب الحنون على أولاده يعطف عليهم ويلبي رغباتهم و يستجيب لطلباتهم ، فنحن أبناء الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) نطلب القرب منه لنتزود منه ومن قربه وجواره ، فنحن بمجرد الذهاب إلى المدينة و زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) نشعر براحة لا مثيل لها فكيف في الأخرة والمسلمون يلتقون بالرسول و يصافحونه ، فأي راحة و شعور و سعادة تغمر الإنسان ، ومن ذلك قول **ابن جبير**[٧٩]

و لا طابت حيـــاة لي إذا لـم
أزر في طيبـــــة خير الأنـــــامِ
و أهديـــهِ الســـلام و أقتضيـــه
رضىً يُدني إلى دار السلامِ[٨٠]

فلا ترتاح نفس المسلم إذا لم يذهب إلى طيبة ذلك المكان الذي يوجد فيه قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) و يطلب منه الشفاعة يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من يأتي الله بصالح الأعمال ، فجل هم المسلم أن يرضى الله سبحانه و تعالى و يسير على ضوء ما أمره به ليرضى عنه الله ، و بهذا الرضا و السماح يدخل إلى الجنة ، وهي دار

(٧٨) نفح الطيب : جـ٥ ، ص٤٨ .

(٧٩) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين: رحالة أديب. ولد في بلنسية ٥٤٠ هـ وبرع في الأدب، ونظم الشعر الرقيق توفي سنة ٦١٤ هـ ، ينظر : الاعلام ، جـ٧ ، ص ٣٥٤ .

(٨٠) ديوان نفح الطيب : جـ٢ ، ص٤٩٣ .

السلام من غير شك و لا حاجز ، دار السلام التي فيها الأمان والراحة ، والتي تطيب النفس ، و يصفى البال ، و ترتاح الروح في ذلك المكان ، فرحين بالصحبة الطيبة هناك من الأنبياء و الأولياء و الصالحين ، حين يقول **ابن عبد ربه** :

إذا فتحت جنّاتُ عدنٍ و أُزلفَت
فأنت بها للأنبياء وفيـــــقُ(٨١)

أبواب الجنان عندما تفتح فإن الله يعم على الداخلين إليها بأن يجمع بينهم وبين أصحاب المقامات العليا ، ومن يحبون من ذويهم ، و لا شك في أنّ هذه متعة روحية عظيمة لأهل الجنة ، فإن المؤمن إذا علم أنه مع من أحب مجتمع في الجنة ، شعر بأنه قد اكتملت متعته ، وإن مرافقة الأنبياء و الصالحين و الشهداء في الجنة تعطي للمسلم متعة و نعمة روحية عظيمة تدل على عظم شأن المرافق و إكرامه و تشريفه .

وقد تأثر الشعراء بأسلوب القرآن الكريم في كلامهم على الرفقة في الجنة ، إذ قال تعالى : **{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}**(٨٢) .

و يقول ابن جابر الأندلسي :

و بالحسنين السيّدين توســـــلي
بجدّهما في الحشـــرِ عنـــد تفرُّدي
هما قُرتا عين الرسولِ و سيـــــدّا
شبابِ الورى في جنَّةِ الخُـلدِ في غدِ
وإني لأرجـــو أنني معهم غـــداً
وأن لستُ عنهم في الجنـــانِ بمبعدِ
على المصطفى و الآل و الصحبِ
صلاة متى يبلَ الزمان تُجـــــدَّرِ(٨٣)

إن أصحاب الجنة يشعرون بالغبطة و الارتياح في صحبة النبي (صلى الله عليه وسلم) و أصحابه إذ يقيمون في دار لا نقله عنها ولا تحول فضلاً عن مصاحبة الأنبياء و الصالحين فيها ، فكل مسلم يتمنى أن يلتقي بكل نبي و بكل الصالحين في الجنة ، و يصافحهم ، و يحاورهم ، و يتلهف لرؤيتهم مثل تلهف الأم إلى ولدها الصغير عند رؤيته ، و في الوصول إلى ذلك المكان البهي تنتهي مرحلة العبادة لأنه مكان راحة ، فالراحة هناك تكون في جمال المكان وطيب الأكل و حسن الصحبة ، و ما أجمل من صحب الأنبياء و الصالحين و جوارهم الجنة و التحدث إليهم ، **وقول ابن جابر** :

لقد أسعـدَ الرحمنُ جارَ محمدٍ
ومن جارَ في ترحالهِ فهو الأشقى(٨٤)

فالذي يتقرب من الأنبياء– و حدد الشاعر هنا النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)_ تملأه السعادة والغبطة و حسن حديثه و مزاجه ، و لا يتكدر أو يتضايق في حياته ، والذي يظلم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من المشركين و الكفار فهم الأشقى في الدنيا و الأخرة لأن الإنسان وراءه حساب ووقفة طويلة في المحشر و كتاب

(٨١) ديوان ابن عبد ربه : ص١١٥ .
(٨٢) سورة النساء : آية : ٦٨ .
(٨٣) شعر ابن جابر الأندلسي ، منحه الدكتور أحمد فوزي الهيب ط١ ، ١٤٢٧ – ٢٠٠٧ ، ص٦٦ .
(٨٤) شعر ابن جابر ، ص٩٨ .

مفتوح تبين كل ما عمله في حياته الدنيا ، و يزاح عن الجنة أهل النار ، و يعلم الكفار عقبى الدار ، فالمؤمن من النعمة التي أنعمها الله عليه يجاور من أحبهم و يبقى معهم في الخلد ، لا يفرقهم أي زمان أو مكان .

ج. الحفاوة و التكريم لأهل الجنة :

من المعروف أنّ نعمة الإكرام في الجنة هي من النعم المعنوية العظيمة ، التي تعزز الثقة ، و ترفع من البهجة والرضا و تشرح الصدور ، فالضيف في الدنيا إذا لقي في دار مضيفه مزيداً من الحفاوة والتكريم و البشاشة استقرت به نفسه و زادت راحته ، عكس ما لو لم يجد هذا التكريم فأنه سيحس في نفسه غصة و ألماً تعكر عليه صفوة ولذته . وإن الله جل وعلا في دار الأخرة سينعم على عباده بشتى أنواع النعم المعنوي و المادي ، و أرفع نعمة و أجلها هي رضاه و التظلل بظلاله ، فلا يخافون وهم في ظل الجبار القوي شيئاً ، فأنه سيحميهم و يأمنهم ويخلدهم ، ويمد ظله (عز وجل) على عباده في جنته ، وقد ذكر الله في كتابه صفة البشرى ، فالله سبحانه وتعالى قد بشر المسلمين بمكانهم الكبير في الجنة ، قال تعالى : **{ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}**(٨٥) ، وقال **ابن جابر** :

و بَلَغَ بشرى الهاشمي* بأنه
من الجنة العُليا بأكرم مقعدِ(٨٦)

فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يبلغ المسلمين على لسان الله سبحانه و تعالى بأنهم يدخلون الجنة ، فقد كان المسلمون في أيام الحرب و القتال يتسارعون للجهاد في سبيل الله من أجل نصرة الإسلام و جعل رايتها عالية ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يخبرهم بأنهم يتبوؤون في الجنة منازل عالية لأن للشهيد منزلة عظيمة (فأكرم مقعد) معناها إن الشهيد ينّزل مع منزلة الأنبياء و الصديقين ، و هي منزلة يستحقونها لأنهم لم يترددوا في استجابة لطلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنهم كانوا يعرفون أن الرسول ما ينطق عن الهوى و إنما كانت تعليماته من الله سبحانه و تعالى عن طريق الوحي جبريل (عليه السلام) ، و إن هذه البشرى هي رفع معنويات المسلمين و مكافأتهم على أعمالهم بأن لهم مكاناً خاصاً في الجنة ، و هو من أكرم المقامات ، وعلى هذا النحو **قول ابن جابر** :

وقال رسول اللهِ أوجبَ طلحةٌ
و أبدي جهادَ الناصحِ المتجلّدِ
فأكثرُ هذا اليومِ أوكُلُّهُ لـــــهُ
سيعطي بدارِ الخُلد أكرمَ مقعدِ(٨٧)

فهذا كان حال المسلمين في عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كانت حياة جهاد من أجل إعلاء راية الإسلام ، و كان المسلمون لا يتوانون عن تلبية نداء الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يشجعهم و يحثهم على الجهاد و يرفع من معنوياتهم النفسية بتذكيرهم بما ينتظرهم

(٨٥) سورة أل عمران : آية : ١٧١ .

* أي الرسول محمد(صلى الله عليع وسلم)

(٨٦) شعر ابن جابر ، ص٤٩ .

(٨٧) شعر ابن جابر ، ص٥٢ .

من عز و جاه و مكانة عالية في الجنة ، و عندما نعود إلى الشعراء نجد أن الشعراء قد استقوا أبياتهم الشعرية من القرآن الكريم فكلمة **(مقعد)** هي ورادة في القرآن الكريم و (هي مجلس حق لا لغو فيه و لا تأثيم)[٨٨] ، فمجالس الدنيا تختلف عن مجالس أهل الجنة ، قال تعالى : **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ *فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}**[٨٩] ، فالشاعر قد استعار من القرآن كلمة **مقعد** و هي أقرب كلمة تدل على تكريم أهل الجنة و أن لهم مجالس خاصة لهم في الجنة يستطيعون أن يلهوا و يمرحوا فيها من غير أن يحسبوا حساباً لوقت أو أي عمل من أعمال الدنيا ، فهل يوجد شيء أحلى و أجمل من هذا التكريم الذي أعطاه الله للمسلمين على كل شيء عملوه في سبيل الله وتحت لواء الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكل من يتبع أوامر الرسول فأنه يهنأ بتبوء مقعده في الجنة ، **قال ابن جابر :**

لهُ الجنة العليا بذلك فاشترى

و تجهيزَ جيشِ العسرةِ إذ كر وعدّد[٩٠]

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يبشر المسلمين في وقت الحرب بأن لهم مكافأة في الجنة ، و هي مكانة في الجنان العليا التي يسكنها الأنبياء و الأولياء و الصالحين و هذا تكريم لهم من الله سبحانه و تعالى و حفاوة لهم منه سبحانه و تعالى على صنيعهم ، ومن ذلك قول الشاعر ابن زمرك:

وقد قيل للفاروق : هذا ، ومن به

فإنبأهُ عن ذا النعيم المؤبَّـــــــــدِ

فأقبل يبكي قائلاً كيف غيرتـــــــي

عليك ،و لولا أنت ما كنت أهتدي[٩١]

و نلاحظ من قول الشاعر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يبشر الصحابة بما ينتظرهم من تكريم من الله عز و جل لهم ، و هذه المكانة محفوظة لهم مهما طال الزمن إذا سار الإنسان على نفس منهجه و تقواه و عمله في الحياة الدنيا ، و في البيت الأول إشارة صريحة إلى أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) قد بشر عمر الخطاب (رضي الله عنه) بأن له مقراً في الجنة ، وهل أجمل من هذا التكريم و العطاء من الله سبحانه و تعالى ؟ فالله يعطي بغير حدود لكل عبد مؤمن صالح ، فيعطي من الأنهار و القصور و البساتين ، فالعبد المؤمن عندما يدخل إلى الجنة يجد أن كل شيء متوافر و يعود له فيتعجب فيسأل الله سبحانه و تعالى ، فيجيبه عز وجل إن هذه ثمرة عملك في الدنيا و جدته هنا ، فكل واحد يلاقي ما كان يفعل على الأرض فإذا عمل خيراً فأنه يجازى عليه بمثله ، أو يضاعف له مرتين فمن نجد مثل الله عز وجل و مثل هذا الكرم الوارف ؟! ، ومن ذلك قول ابن زمرك أيضا:

(٨٨) ينظر تفسير الجلالين ، ص٧٠٥ .

(٨٩) سورة القمر : آية : ٥٤ ، ٥٥ .

(٩٠) شعر ابن جابر ، ص٤٨ .

(٩١) يشير إلى الحديث :"دخلت الجنة فوجدت فيها دارا أو قصرا فقلت : لمن هذا ؟ قالوا :لعمر بن الخطاب ، فأرت أن أدخل فذكرتك غيرتك ، فبكى عمر وقال : أي رسول الله ، أو عليك يغار ؟" ، صحيح مسلم جـ٢ ، ٢٣٣ ، ينظر : نفح الطيب جـ٧ ، ص٣٦١ .

أكرم بـــهِ والله وفـد الكريـــــم
مولاتنـا "الحـــرة" في مقدمـــهِ
مـرضاتها تُحظي بدار النعيـــم
وتــوجب التوفيق من منعمـــهِ
بـشّــره نصــرٌ و فتــحٌ جسيــم
وخيرهُ أجمــع في مَقدِمـــــهِ(٩٢)

لقد ذكر ابن زمرك في موشحته و هو يهنئ السلطان موسى ابن السلطان أبي عنان ، وقد وجه إليه الغني بالله أمه و عياله عند تملكه المغرب ، فنلاحظ أن الإنسان مهما عمل خيراً فإنه يتوقع أن يكون له مكان مميز في الجنة ، و الإنسان لا يلمس حلاوة صنعه في اللحظة نفسها ، و إنما تتجمع له في الجنة ، فكل عمل صالح نقوم به من طاعة الله و رسوله و تلبية طلباتهم من غير تردد ، فإننا نحصل على كرم من الله هو مكاننا الخاص في الجنة من غير أن يزاحمنا عليه أي شخص آخر لأنها تكفي لجميع المسلمين و أكثر ، **ويقول ابن زيدون :**

جحيم لعاصيــهِ يُشَبُّ و قُــودهُ
و جنة عدنٍ للمطيعين تُزلَف(٩٣)

نلاحظ من هذا البيت أن الله سبحانه و تعالى قد أعد للمسلمين جنات عدن و في الوقت نفسه فأنه قد أعد للكافرين نار جهنم فكل حسب تقواه ، وحسب عمله ، و ليس بحسب جاهه أو ماله. .

د. الخلود لأهل الجنة :

مهما طال وكثر نعيم الدنيا فهو زائل لا محالة ، أما بالموت أو بغيره ، لذا كان نعيم الدنيا ناقصاً لاحتمال زواله ، والمعروف أن النعيم في الأخرة هو دائم ، لا يصيب صاحبه الملل و لا السقم و لا ألم و لا نقصان ، قال تعالى : **{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحاتِ أولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّـةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**(٩٤) .

وإن البشارة بالخلود لأهل الجنة إيحاء إلى علو هذه الدرجة ، من ذلك قول لسان الدين :

و أحط رحلي في كريم جوارهِ
أرجو نعيماً في الجنان مقيماً (٩٥)

يشير الشاعر في بيته إلى معنى السفر فهو يحمل أعماله معه و يغادر الحياة الدنيا إلى مقر ودار هو خالد فيه ، ولا أحد يخرجه منه ، و إن الإقامة في هذا المحل إلى أبد الآبدين ، قال تعالى : **{خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}**(٩٦) أي أن في الجنة خير إقامة لخير مقيم فيها ، لكن أن يقيم الإنسان وحده في هذا المكان الجميل يشعر بالوحدة فجوار الأنبياء و الصالحين و الشهداء هي من أجمل الصحبة هناك ، و كيف لا يطيب للإنسان العيش في هذا المكان الجميل الذي من جماله قد خلد فيه مكافأة لأعماله الصالحة ، و **يقول ابن زمرك :**

فلا زلتَ في ظلّ النعيمُ مُخلـــــداً
ونجلُك يحيـــا بالبقـــاء المُخلَّـــدِ

---

(٩٢) ديوان ابن زمرك ، ص٥٥٤ ، نفح الطيب جـ٧ ، ص٢٦٤ .

٩٣) كتاب في الأدب الأندلسي ، د. محمد كامل الفقي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، ط٤ ، ص٢٤٥ .

(٩٤) سورة البقرة : آية : ٨٢ .

(٩٥) نفح الطيب : جـ٧ ، ص٢٩٨ .

(٩٦) سورة الفرقان : آية : ٧٦ .

و أوردَك الـــــرحمنُ حوض نبيـــهِ
وأصدرَ من خَلَّفت عن خير موردِ(٩٧)

يبين الشاعر أن اللذة في الجنة دائمة ومستمرة ما دام أهل الجنة فيها ، يخلدون خلوداً لا نهاية له في الجنة في أفضل حال ، ومن عطاء الله على المسلمين و فضله عليهم هو ورودهم حوض النبي (صلى الله عليه و سلم) فكل إنسان يتمنى ذلك ، ومن ذلك **قول ابن الجنان**(٩٨) :

جلَّتْ مَناقبُ خـاتم الرُّسل الذي
بالنـور خَتم و الهدى تختيـــماً
وسمت به فوق السمـــــاء مراتبٌ
بمقامِ صدقٍ عزَّ فيه مُقيمـــــاً(٩٩)

نرى في هذه القصيدة أن ابن الجنان قد مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو خاتم الأنبياء و كانت رسالته هي هدي الناس بما أمر الله سبحانه و تعالى و مشى على هذا النهج الذي وضحه له الله فكان الرسول هداية للأمة جمعاء ، و به نقتدي ، و به نتمسك ، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) قد جاهد وحارب كل من تصدى للدعوة و تحمل الأذى في قلبه و كان يكتم غيظه ، فهو العليم الصبور ، الصادق الأمين ، ومقابل هذا فإن الله سبحانه و تعالى قد أكرمه ووضعه في أحسن منزلة فهو له مكانه العالي في الجنان العليا مقيم فيها ، و كل من أراد الإقامة في منزلة الرسول نفسها ، عليه أن يعمل بكل ما جاء و يلبي كل ما أمر به حتى يلتقي به في جنة الخلد و يقيم مع أولياء الله ، وقول أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري الأندلسي(١٠٠) :

قد سمـــا قدرهُ بغيرتنـــــا هي
و علا جاههُ على كلِّ جـــــــتـاه
آمر بالتُقى عن الشَّرِ ناهـــــي
من يُطعـهُ ينل ثواب الإلـــــــــــهِ
ولـهُ عنده النعيـــمُ المقيـــمُ
فعليـــهِ الصـــلاة و التسليـــم(١٠١)

فكل من يطع الرسول ويسير على ضوء ما كان يأمر به ، و يعرف طريق الحق من طريق الظلال فإن له نعيماً في الجنة ، مقيماً فيها خالداً لا يموت فيها ، فهي تكون بعكس الحياة الدنيا التي يعيشها فما فائدة المتع المادية للإنسان من مأكل ومشرب و منزل و يوقن بعدها بنهايته و أكيد فنائه ، و لكن أهل الجنة لا يموتون و لا ينقطع نعيمهم و تكتمل سعادتهم و هناؤهم ، بتوافر جميع المتع و الملذات و ما تشتهيه أنفسهم ، فمن يطع الله ورسوله ينال ما يريد فالله سبحانه و تعالى يعطي عبده الذي يتمناه إذا أطاع الرسول (صلى

---

(٩٧) ديوان ابن الجنان ، ص٣٩٠، نفح الطيب جـ٧ ، ص٣٣٦ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان ، من علماء عصره المشهورين ،كان محدثا كاتبا، بليغا ، شاعرا،بارعا ، وصف بجودة الخط ، وحسن الضبط ، كانت وفاته سنة (٦٤٦هـ او ٦٤٨هـ)، ينظر :ديوان ابن جنان ،ص ٩-١٩ ، نفح الطيب ، جـ٧ ،ص٤١٦ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ص٤٤١ .

(٤) ابي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري الأندلسي ،ت٧٦١هـ قاض وفقيه وأديب ولد وأقام بمدينة رُندة توفي في مدينة سلا في المغرب ، ينظر : نفح الطيب ،جـ٧،ص٥١٧ .

(١٠١) المصدر نفسه الجزء و الصفحة .

الله عليه وسلم) ، و قال تعالى : **{وَمن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}**[١٠٢] ، فيخلد المسلم مع الرسول إذا أطاعه و يربح الربح الكبير هناك في الأخرة ، و يقول ابن زيدون :

سيخلد في الدنيا بهِ لك مفخَرٌ
و يَحسُنُ في دار الخلود مآبُ[١٠٣]

فالشاعر هنا يوضح لنا نقطة مهمة و هي أن الإنسان لا يخلد في الدنيا و يبقى فيها العمر كله و إنما قصد أن الإنسان سيخلد بعمله ، فالأعمال الصالحة هي التي تبقي ذكر الإنسان إلى أبد الأبدين ، لأن سيرته بعمله الطيب و خيراته التي أعطاها إلى الآخرين تبقى على ألسنتهم ، فعمله يخلده و روحه تخلد في الأخرة في المكان التي تستحق أن تذهب إليه إلا و هي الجنة ، فإن الله يكرمه الجنة التي يخلد فيها ، و هذا أجمل عيش ففيه الراحة لا الشقاء ، و طيب المجلس و حسن الصحبة .

و نلاحظ مما سبق اشتمال تصوير الشعراء الأندلسيين للصفات الواردة في القرآن الكريم للنعيم المعنوي لأهل الجنة و تأثرهم بها و ذكرها أكان ذلك نقلاً من القرآن الكريم أم ابتكاراً لصفات خيالية مستنبطة من مخيلة الشاعر الأندلسي تشكل من ذلك كله في نهاية المطاف صورة متكاملة و مبتكرة لنعيم الجنة المعنوي ، ولم يقتصروا على ذكر النعم التي أعدها الله لعباده في الجنة من الراحة و الأمان و سلام الله تعالى و ملائكته على عباده و رضاه عنهم و الفوز بالجنة و نعيمها ، و إنما ضمنوها في نصوصهم الشعرية السابقة تراثاً زاخراً بالمواعظ و الحكم التي تحدث على عمل الخير للظفر بما يتمنى هؤلاء الشعراء الفوز به إلا و هو الجنة و رضا الله (عز وجل).

وخلاصة قولنا : لقد استطاع الشعراء الأندلسيون توظيف المعاني الإسلامية التي جاءت مخصصة لوصف الجنة وما شملته من مساكن ومنازل ، وما تضمنته من غرف ودرجات وعلو أو مقام ، فأبدعوا في تسجيل صورة رائعة للجنة وذلك بإضافتهم أوصافاً من خيالهم الخصب مما ساعد على إبراز شعرهم .

الخاتمة:

أما في بحثنا للجنان في الشعر الأندلسي فقد اتضح لنا أن الأندلسيين قد تعاملوا مع مفردات الجنان بأنماطها المختلفة من روضيات – وزهريات – وثمريات – ومائيات على نحوٍ خصب وواسع بما يتناسب والتعداد الوافر له ، إذ أفاد الشعراء كثيراً مما وفرته البيئة الأندلسية وجنانها الغنية ، لذلك تعاملوا مع كل مفردة من مفرداتها على النحو الذي يستغلون دلالاتها وصفاتها وألوانها أقصى غاية ، يجعلونها تناسب موضوعاتهم .

إن غزارة مفردات الجنان في البيئة الأندلسية جاءت من السعة بحيث ناسبت صورها موضوعاتهم الشعرية على مختلف أنواعها ، من غزل ورثاء وفخر ومدح وغير ذلك .

وقد اعتمد الشعراء شتى فنون البيان والبديع في إظهار صور الجنة والجنان من خلال التعامل

(١٠٢) سورة النور : آية : ٥٢ .
(١٠٣) ديوان ابن زيدون ، ص ١١٩ .

المناسب الذي خدم تشكيلهم التصويري في إطارها على نظم مخصوص بيد أنهم تأثروا بما تعامل به القرآن الكريم والموروث الشعري .

وفـي إطـار اللغـة والأسـلوب كـان الأندلسـيون تقليـديين أحيانـاً، ومجـددين أحيانـاً أخـرى ، وهـم يسـبحون فـي بحـر اللغـة العربيـة الزاخـر بـاللفظ الجميـل ،والأسـلوب المشـرق ، والمعنـى المعبـر ، وذلك كله يأتي في نظم شعري تجديدي مبدع .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف

ثانياً: المراجع

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تأليف : المقري التلمساني ت (١٠٤١) هـ .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩ م .
- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، د.إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م .
- تاريخ الفكر الأندلسي ، تأليف انخل جنثالث بالنثيا ، مكتبة الثقافة الدينية ،.
- تفسير الجلالين وبذيله أسباب النزول للسيوطي للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مكتبة المثنى ، بيروت ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن التركي
- حركات التجديد في الأدب العربي ، يوسف خليف، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية .
- ديوان ابن الإبار البلنسي ، ت(٦٥٨)هـ ، تحقيق: د. عبد السلام الهراس .
- ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي ، تحقيق : د. منجد مصطفى بهجت ، الطبعة الأولى ، (د.ت) .
- ديوان ابن خفاجة الأندلسي ، لابن خفاجة الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار صادر بيروت، بيروت ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- ديوان ابن دراج القسطلي – تحقيق الدكتور محمد علي مكي ، دمشق ، ١٩٦١.
- ديوان ابن زمرك ، تحقيق : محمد توفيق النيفر ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧ م
- ديوان ابن زيدون ، شرح وتحقيق: كرم البستاني ، دار صادر – دار بيروت ، بيروت ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .
- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي حققه وجمعه وشرحه د. محمد رضوان الداية ،ط١ ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩.
- ديوان ابن هانئ الأندلسي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤٠٥ هـ – ١٩٨٠ .

- زبدة التفسير من الفتح القدير ، محمد بن سليمان عبد الله الأشقر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- شعر ابن جابر الأندلسي ، منحه الدكتور أحمد فوزي الهيب ط١ ، ١٤٢٧ – ٢٠٠٧
- في الأدب الأندلسي _ موضوعاته وفنونه _ ص ٢٦ ، تأليف الدكتور: مصطفى الشكعة ، الطبعة الثانية ، (د.ت) ..
- في الأدب الأندلسي ، د. محمد كامل الفقي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تصحيح وتعليق وتحقيق: السيد هشام رسولي المحلاتي ، والسيد فضل الله الزيدي الطبطبائي ،دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- المعجم الوجيز ، د. إبراهيم مدكور ، طبعة ٢٠٠٠ – معتمدة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت) .
- نعيم الجنة في القرآن والسنة ، د. عبد اللطيف عاشور ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للشيخ أحمد بن المقري التلمساني ، تحقيق: د. احسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،لأبي منصور ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط القاهرة